

الصوم الكبير وأسبوع الآلام تجديد مواعيد المعمودية

"لندخل موسم العيد البهّي بفرح
ولنعكف على الكفاح الرّوحي.
لنظهّر أرواحنا وننقّ أجسادنا.
وفيما نصوم عن الطّعام، لننبذ أيضاً جميع الأهواء.
لنفرحُ بفضائل الروح ولنواظبُ بشغف على المحبة
لكي نصير جديرين بمشاهدة آلام المسيح إلهنا ونفرح
برؤية قيامته المجيدة."
(من صلاة غروب الغفران، مساء أحد مرفع الجبن)

عند نشأة الكنيسة كانت المعمودية مرتبطة بعيد الفصح المجيد. وكانوا يغطّسون الموعوظ في بركة التعميد رمزاً لدفنه مع المسيح، ثمّ ينتشلونه من الماء رمزاً لقيامته مع المسيح في حياة جديدة. وكان الموعوظون يتعلّمون عقائد الإيمان المسيحيّ لمدّة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات. وفي الأربعين يوماً الختاميّة كانوا يتابعون دورة مكثّفة يتعلّمون فيها كيف يحيون حياة مماثلة لحياة المسيح بممارسة الصلاة والصّوم والأعمال الصّالحة، وهي القاعدة الأساسيّة للحياة المسيحيّة. وعليه لم يكن موسم الصّوم كنييّا حزيناً بل مدعاةً للفرح. أجل، إن الحياة في المسيح كانت فرحة.

ومع مرّ السنين، مدّدت الكنيسة فترة الأربعين يوماً حتّى شملتنا جميعاً، اعترافاً منها بأننا لا نحيا دائماً حياتنا المسيحيّة كما ينبغي. فإننا نقع في الخطيئة وننسى الصلاة ومناجاة الله. ونساق إلى الشراهة عند تناول الطعام. ونهدر كثيراً من الوقت في التثرثرة والاعتياب. ونتجاهل أخوتنا وأخواتنا البائسين. ونتوانى عن مساعدة بعضنا بعضاً كما يجب. ونلطّخ الصورة تي خلقها الله على مثاله. وكثيراً ما نغفل عن رؤيتها. لذا أمسينا بحاجة إلى تجدد. ولذا تحثنا الكنيسة على بذل المزيد من الجهد الرّوحي في زمن الصّوم الكبير، لكي ننشط في الصلاة والصّوم والأعمال الصّالحة طوال أربعين يوماً، علّ أمل أن نكتسب عادات جديدة صالحة لتقويم سيرتنا، اقتداءً بيسوع المسيح ربنا وقدوتنا ومخلصنا.

يبدأ الصّوم الأربعيني في صلاة غروب الغفران التي نرتّم في أثنائها:
" لنصمّ صوماً مقبولاً يُرضي الربّ. فالصّوم الحقيقي هو نبذ كل شرّ،
ولجم اللسان، والانقطاع عن الغضب، والإقلاع عن الشهوة والكذب والحنث. فإن نحن امتنعنا
عن هذه الرذائل، كان صومنا مقبولاً عند الله وأصيلاً."

إننا نرحب بالصوم، ولا نعتبره وقتاً نفرض فيه معاناةً على أنفسنا وأتباع علاج لتحسين ذواتنا. بل نحیی هذا الموسم كوقت مقدس مكرس لتقويم ذواتنا وتنقية نفوسنا وتنويرها من خلال حفظ وصايا الإله المصلوب. فنطرد الشر من قلبنا ونتيح لثمار الروح القدس ان تتأصل فينا. وهي: "المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والأمانة والوداعة والعفاف" (غلاطية 5: 22).

فالأربعون يوماً مخصّصة إذن لوقف ذواتنا وقفاً كاملاً لشؤون الله. الأربعون يوماً هي بمثابة تخصيص "عشر" من السنة للعكوف على تقديس نفوسنا، مقدّمين لله من وفرة ما جاد به علينا من نعم. إنّ الكنيسة تضع بين أيدينا الأدوات اللازمة لتجديدنا ودعم ما نبذله من جهود لنسير وفقاً لتعليم المسيح. والأدوات الأساسية هي الصلاة والصوم والأعمال الصالحة. فإذا ركزنا اهتمامنا عليها بدأنا تجديد نفوسنا لنحيا حياة مسحية أفضل.

الصلاة:

لا غنى عن الصلاة في الحياة المسيحية. فيسوع المسح ذاته كان يصلي وقد علمنا كيف ينبغي أن نصلي. ولكي نتبع المسيح يجب أن نصلي. وما الصلاة إلا مناجاة الله. وبالصلاة إنما نرفع قلوبنا وأذهاننا إلى الله لننّحد به ونعمل مشيئته. وفي المنزل نصلي على انفراد. لنا أن نتلو صلاة رسمية أو أن نخاطب الله بطر يقتنا الخاصة. والكنيسة تحثنا على الصلاة بانتظام، على انفراد، بإيجاز، متجنبين كثرة الكلام، واثقين بأن الله يسمعنا: "متى صليتم فلا تكونوا كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلوا قياماً في المجمع وفي مُلتقيات الطرُق لكي يظهروا للناس. فالحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صليت فادخل حجرتك وأوصد الباب وصل لأبيك الذي هو هنالك في الخفية. وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك." (متى 6: 5-6).

من الصلوات البسيطة ما يُسمى "صلاة يسوع". وهي: "أيها الرب يسوع المسيح ابن الله ارحمني أنا الخاطيء." هذه الصلاة يمكن تكرارها. كما يمكن أن ندعو اسم الله لننّحد به. وهنالك صلاة خاصة تقال في الخدمات الليتورجية زمن الصوم وتدعى صلاة القديس أفرام. إنّ كل فقرة منها ترافقها سجدة كاملة. ويمكن أن نتلو هذه الصلاة بدون سجدات بينما نتمشى، أو عندما نتناول الطعام العائلي وقبل خلودنا إلى النوم. أو في أي وقت آخر من النهار والليل. وهذا نصّها:

✠ أيها الرب سيّد حياتي، لا تبُلني بروح البطالة والفضول وحبّ الرئاسة والكلام البطل.

✠ بل أنعم عليّ أنا عبدك بروح العفة والاتضاع والصبر والمحبة.

✠ نعم أيها الربّ الملك، هب لي أن أرى زلاتي ولا أدين أخي. فإنّك مبارك إلى دهر الداهرين.
أمين.

وفي الصّوم الكبير تقدّم لنا الكنيسة خدمات ليترجية رسمية. وهي: ليترجية الأقداس السابق
تفديسها وصلاة النّوم الكبرى ونشيد المدائح. لا نذهب إلى الكنيسة لتلاوة صلواتنا الخاصة، بل
لنقدّم ذواتنا وهمومنا ورغباتنا ومشاكلنا وتساؤلاتنا وافراحنا وأحزاننا وسواها إلى الله، مع صلاة
الكنيسة وصلاة المسيح ووالدة الأله والقديسن وأخوتنا وأخواتنا في الكنيسة الخاصة التي ننتمي
إليها. راجعوا في هذا الشأن برنامج الخدمات الدينية في رعيتكم.

الصّوم:

الصّوم جوهرية في الحياة المسيحية. وقد صام السيّد المسيح وعلمنا كيف نصوم. أمّا هدف
الصّوم فهو تنقية حياتنا. إنّه تحرّر جسديّ وروحيّ من الخطيئة، به نتشدّد لنحبّ الله والنّاس. أمّا
النقود التي ندخرها من الامتناع عن الطّعام فنخصّصها للمعوزين. لنا برنامج أبرشيّ اسمه
"عناية الرّاعي". وبموجبه، على كل شخص، كبيراً كان في السنّ أم صغيراً، أن يضع ما
يدّخره في علبة صغيرة يسلمها للكنيسة يوم أحد الفصح كي يقوم الرّاعي أي مطران
الأبرشيّة بإرسال المبلغ إلى الفقراء والمعوزين. فالصّوم إذن يفيد أجسادنا ويغذي أجساد
الآخرين.

إنّ قواعد الصّوم تمّ وضعها في الأديرة الرهبانية. غير ان الكنيسة خفّفت من قسوتها نوعاً ما.
فاصبح في استطاعة كلّ فرد أن يكيّفها حسبما يستطيع، انطلاقاً من ظروفه الخاصة. راجعوا
نشرتكم الرعوية تجدوا فيها طريقة الصّوم التقليدية، وكذلك التعليمات المتعلقة بتخفيفها لكي
تلائم ظروفكم.

إليكم ما قاله الربّ يسوع بشأن الصّوم في بشارة القديس متى الانجيلي:
"متى صمتم فلا تكونوا معبّسين كالمرائين فإنهم ينكّرون وجوههم لكي يظهروا للنّاس صائمين.
فالحقّ أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأمّا أنت فإذا صمت فطيب رأسك واغسل وجهك لكي
لا يظهر للنّاس أنّك صائم، بل لأبيك الذي في الخفية. وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك.
(متى 6: 16-18)

وللقديس يوحنا الذهبيّ الفم أقوال هامة في الصّوم:
"إنّ الصوم الأصيل لا يقتصر على الامتناع عن اللّحم، بل يقتضي أيضاً الإقلاع عن الخطايا.
فعلى الأيدي أن تصوم بالامتناع عن السلب والنهب والبخل. وعلى الأرجل أن تصوم بالامتناع
عن الدّهاب إلى المشاهد المحرّمة. وعلى اللسان أن يصوم بالامتناع عن الكلام الفاحش. فما
المنفعة إن نحن امتنعنا عن أكل اللّحم، ولم نتورّع من أن ننهش إخوتنا وأخواتنا؟"

ولنا في صلوات الغروب الخاصة بزمن الصّوم موجز تامّ لقواعد الصوم الصحيح: " لنلتزم بالصوم المقبول الذي يرضي الربّ. فالصوم الصحيح هو الابتعاد عن كل ما هو شرّ. وضبط اللسان. وكظم الغضب. والإقلاع عن الشّهوة والافتراء والكذب والحنث. فإن نحن امتنعنا عن تلك الموبقات كان صومنا صحيحًا ومرضيًا عند الرب. " (أول يوم اثنين من اصوم)

الأعمال الصّالحة: الصّدقة

إنّ السّلاح الرّوحيّ الثّالث هو الإقبال بعزيمة أكبر على الأعمال الصّالحة وفي طليعتها الصّدقة التي يمكن القيام بها يوميًا، وليس فقط في زمن الصّوم. ففي العظة التي ألقاها السيّد المسيح وهو في الجبل، لم يقصر كلامه على الصّلاة والصّوم، بل تناول الصّدقة أيضًا فقال:

"متى صنعت صدقةً فلا تبوق بها قدّامك كما يفعل المراؤون في المجمع والشوارع كي يمجّدهم النّاس. فالحقّ أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. أمّا أنت فمتى تصدّقت فلا تعرف شمالك ما تصنع يمينك. لكي تكون صدقتك في الخفية. وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك." (متّى 6: 2-4)

إنّ وصيّة يسوع بالأعمال الصّالحة تؤكّد وصيّة الله التي وردت في العهد القديم: "مَنْ أَهَانَ قَرِيْبِهِ يَخْطَأُ وَالَّذِي يَرْحَمُ الْمَسَاكِينَ طُوبَى لَهُ. "مَنْ ظَلَمَ الْفَقِيرَ أَهَانَ خَالِقَهُ وَالَّذِي يُمَجِّدُ الْخَالِقَ يَرْحَمُ الْمَسْكِينِ." (أمثال 14: 21 و31)

يعلّمنا الكتاب المقدّس أنّ اقتسام ثروتنا مع البؤساء هي أسطع برهان على الإيمان والمحبة. وأنّ الذي لا يساند البائسين إيمانه ليس حيًّا:

" ما المنفعة يا إخوتي، لمن يقول انّ له إيمانًا ولا أعمال له؟ أعلّ الإيمان يقدر ان يخلّصه؟ إن كان أخ أو أخت عريانين وهما في عوز إلى قوتهما اليوميّ، فقال لهما أحدكم: إذهبا في سلام استدفئا واشبعا! ولم تعطوهما ما هو من حاجة الجسد، فما المنفعة؟ كذلك الإيمان، فإنّه إن خلا من الأعمال ميت في ذاته." (يعقوب 2: 14-17)

وأباء الكنيسة هم أيضًا يصرّون على ضرورة الصّدقة. ومما يقوله القديس يوحنا الذهبيّ الفم في هذا الصّدّد: "غذّ الفقير الآن وإلا فتأهّب لأن تغذي نار جهنّم." وكذلك القديس باسيليوس الكبير الذي يقول: " ان الحبوب المخزونة في أهرانكم هي للجوع. والمعطف الذي في خزانةكم يعود إلى العريان. والحذاء المتعفن في قبوكم هو لحافي القدمين. والفضة (المال) المخبأة في الصناديق تعود إلى المحتاجين. إنكم تخطئون بحقّ كلّ الذين تقدرون ان تساعدوهم، إن لم تفعلوا."

والنصوص الليتورجية أيضًا تحتّ على الصّدقة:

" في موسم التّوبة هذا، علينا أن نبسط أيدينا للقيام بأعمال الرّحمة. وستكون ثمرة الكفاح الذي يفرضه علينا الصوم الحياة الأبدية، إذ لا شيء يخلص النّفس كالسخاء في إغاثة البائسين. ذلك أنّ الصوم المقترن بالصدقة ينقذنا من الموت. فلنعمل ذلك كلّ بفرح، إذ ليس ثمة سبيل أفضل لخلّاص نفوسنا." (أبوستيخن رتبة السّحر ليوم الثلاثاء الثّاني من الصّوم)

قبل مباشرتنا الصّوم الكبير، يذكّرنا وصف الدينونة العامة الذي أورده القديس متى في إنجيل احد مرفع اللحم أنّ الذين يطعمون الجياع ويسقون العطاش ويكسون العراة ويزورون المرضى ويفتقدون السّجناء، يسمعون السيّد المسيح يخاطبهم قائلاً: " كلّ مرّة صنعتم ذلك إلى أحد هؤلاء الصّغار فالّي قد صنعتموه." (متى 25: 31-40) فالسيّد المسيح يساوي بين ذاته وكلّ إنسان معوز. إخوتنا وأخواتنا هم حياتنا. فلا يسعنا أن نتغافل عن احتياجاتهم ونمضي في سبيلنا.

ليترجية الأقداس السابق تقديسها:

في أيام الأسبوع من الصوم الكبير نقطع حتّى عن الاحتفال الكامل بالقدّاس الإلهي، غير اننا لا نستغني عن تناول القربان المقدّس. والكنيسة لا تحرمنا من نعمة التناول. فقد ابتكرت طريقة لإقامة صلاة غروب مكثفة، يتاح لنا فيها أن نقبل جسد الربّ يسوع ودمه الكريمين، بقرابين تمّ تقديسها يوم الأحد السابق. من هنا اسم هذه الخدمة " ليترجية الأقداس السابق تقديسها". وقد درجت العادة في كنيستنا الملكيّة أن نحتفل بها مساء يوم الأربعاء. لكن يمكن أن يتمّ الاحتفال بها في أيّ يوم آخر من أيام الأسبوع، حسبما يلائم كلّ رعيّة. إنّها حقًا رتبة رائعة يقام فيها طواف مهيب بالقربان المقدّس في الكنيسة بخشوع تام.

نشيد الأكاثستس (المدايح):

للقديس رومانوس المرثم مؤلّفات راقية كثيرة، ولعلّ أشهرها نشيد الأكاثستس المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنشيد الختامي لعيد للبشارة الذي تحتفل به الكنيسة في في 25 آذار. إنّ هذا العيد يقع عادة في الصّوم الكبير وأحيانًا في اسبوع الآلام. في كنيستنا الملكيّة نرثم بالتسبحات التسع من قانون الأكاثستس مع رُبْع أبيات المدائح مساء يوم الجمعة في الأسابيع الأربعة الأولى من الصوم. وفي الجمعة الخامسة نرثم بالقانون كاملاً وذلك بعد صلاة التّوم. ومع أنّ هذا النشيد الرائع ليس له علاقة مباشرة بالصّوم، فإننا نستخدمه لأنه يعبر تعبيرًا لاهوتيًا فخمًا عن تكريمنا للسيّدة العذراء، والدة الإله المخلّص الذي نحتفل بذكرى الآله وصلبه وقيامته في أسبوع الآلام.

في أيّام السبت والأحد من الصوم نقيم تذكارات خاصّة. وفي مساء الخميس من الأسبوع الخامس يرثم بعض رعايانا بقانون التوبة الكبير الذي وضعه القديس أندراوس الكريتي. راجعوا في هذا الشأن كاهن الرعيّة. فإن لم يرد هذا القانون في برنامج الخدمات الدينيّة التي تقيمها الرعيّة، يمكنكم أن تطلبوه منه وتتلوه في منازلكم.

أجل، ينتهي الصوم الأربعيني يوم سبت لعازر الصديق الذي يسبق مباشرةً أحد الشعانين. لكننا نباشر خدمات اسبوع الآلام العظيم المقدس احتفاءً بصلب الرب يسوع وقيامته المجيدة. لذا علينا أن نبذل فيه مزيداً من المواظبة على الصلاة. وعلى الرغم من أن الإجراءات الوقائية التي يقتضيها وباء الكورونا قد تخففت نوعاً ما، فستواصل رعايانا البث المتلفز للخدمات الدينية.

إنه أسبوع حافل بالاحتفالات المهيبة وفيها نرافق الرب يسوع، فننادي به يوم أحد الشعانين ملكنا وإلهنا، وفي أسبوع الآلام عروس الكنيسة. في أسبوع الآلام نُمسح بزيت المرضى المقدس، لأننا جميعاً مرضى روحياً. ونشهد لتواضع الرب بغسل أقدام الرسل، متذكّرين أننا مدعوون لأن نخدم بعضنا بعضاً. كما نحتفل بتأسيسه سرّ الافخارستيا الغذاء المحيي لنفوسنا. نتلو أناجيل الآلام ونمثّل صلبه متأملين في طول اناته وصبره على الآلام الرهيبة وموته على الصليب لأجل خلاصنا. ثم نُنزل جثمانه الطاهر من الصليب ونضعه في نعش مزين بالزهور ونرتّم بتقاريط جنازه المجيد. ثم نطوف بالكفن المقدس داخل الكنيسة وأحياناً خارجها. وعند ما نعود إلى الكنيسة، نمرّ تحت نعشه رمزاً لموتنا معه لكي نقوم معه.

وفي يوم السبت العظيم المقدس نبارك النور الجديد، رمزاً لكون السيّد المسيح حياً، ثم نعلن قيامته للعالم الخارجي قبل أن نحتفل بها في ليترجية القيامة. وفيما نبشّر بقيامته منتصبين، نعلن تجديد حياتنا المسيحية التي تلقيناها بالمعمودية.

عندما تعمّدنا سُئنا هل نرفض الشيطان ونوافق المسيح ونحيا حياته. وإن تمّ تعميدنا ونحن أطفال فإنّ عرابنا يجيب عناً. أمّا الآن وقد غدونا كباراً فإننا نجدد وعود المعمودية بكامل وعينا ونلتزم بأن نحيا حياة المسيح، ليصبح كلّ واحد منّا مسيحاً آخر في هذا العالم.

ختاماً، أسأل الله أن تكونوا في هذا الموسم المبارك مُفعمين بالفرح. كما أسأله أن ينعم عليكم، عندما تهتفون للمرة الأولى "المسيح قام"، بأن تضيفوا "وأنا أيضاً! فقد جدّدتُ وعدي بأن أتبع يسوع المسيح".

رسالة رعوية موجزة في الصوم الكبير وأسبوع الآلام للعام 2021
المطران نقولا سمرا
راعي أبرشية نيوتن

